اعتباطية العلامة في اللِّسان العربي[1]

الطالبة : بوكلجة صورية اشراف أ.د. عباس محمد

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الملخص

إنَّ البحث في مسألة الدَّال والمدلول والعلاقة الَّتي تربط بينهما هو بحث تمخَّض عن موضوع آخر أسال الكثير من الحبر لدى علماء اللُّغة والفلاسفة والمناطقة، هو موضوع نشأة اللُّغة؛ فكان هذا البحث هو المجال الواسع الَّذي وجد فيه هؤلاء ظالَّتهم وأشبع فضولهم العلمي، فكان بحثاً له امتداد عميق في القدم ابتداءً من عهد الإغريق والرّواقيين؛ فكانت العلامة مركز الاستقطاب في الحضارة الإنسانية.

لقد ساعد انتشار اللِّسانيات، وهي العلم الَّذي تأسَّس على يد دوسوسير، على انتشار تصوُّراته انطلاقاً من مفاهيم إجرائية وحيوية أخذت سبيلها إلى النَّماء والتَّطور، ومن بينها اهتمامه بالعلامة اللُّغوية وإشارته إلى مبدأ اعتباطيتها، كما جعلنا نفتح الباب أمام آراء المعترضين عليها، ثمَّ مناقشة هذا المبدأ من خلال نصوص التُّراث العربي الإسلامي ومقارنتها مع ما جاء في الدَّرس اللِّساني الحديث، مع الإشارة إلى تأييد بعض لغوييننا القدامى لمبدأ الاعتباطية المطلقة والنِّسبية، وتأييد البعض لمبدأ العلّية المرتبط بالمحاكاة الصَّوتية، واحتفاظ البعض بموقف وسط بين الاعتباطية والعلّية.

الكلمات المفتاحية:

العلامة اللِّسانية، اعتباطية العلامة، الدَّال، المدلول، التصوُّر، الصورة السَّمعية، التَّعليل، المرجع، التَّواضع الاجتماعي، المحاكاة.

[1] تاريخ الايداع : 2017/12/12 تاريخ الموافقة : 2018/01/22

Le résumé :

La recherche sur la question du signifiant et du signifié et la relation qui les unis, est une recherche qui résulte d'un autre sujet qui à fait couler beaucoup d'encre chez les linguistes, les philosophes et les logiciens, qui est le sujet de la naissance du langage, cette recherche à été le vaste domaine dans lequel ces personnes ont trouvé leur ombre et satisfait leur curiosité scientifique.

Cette recherche s'étend aussi depuis les temps anciens, on commençant par les Grecs, et les Romains, ou le signe était le centre d'attirance dans la civilisation humaine.

La diffusion de la linguistique, une science fondée par De Saussure, a contribué à répandre ses perceptions des concepts procéduraux et vitaux qui ont pris la voie du développement et d'évolution, et parmi eux son intérêt pour le signe linguistique et sa référence au principe de l'arbitraire, ce qui a ouvert la porte aux objecteurs, ensuite discuter ce principe à travers les textes du patrimoine Arabo- islamique et le comparer avec ce qui est dit dans la linguistique moderne. En référence au soutien de certains de nos anciens linguistes au principe de l'arbitraire absolu et relatif, et le soutien de certains linguistes au principe de la motivation associé aux onomatopées, et la rétention de certains d'autres d'une position intermédiaire entre l'arbitraire et la motivation.

***Les mots clés** : Signe linguistique ; l'arbitraire du signe ; Signifiant ; Signifié ; Concept ; Image acoustique ; motivation ; référent ; convention sociale ; onomatopées.*

إنَّ موضوع الاعتباطية من المواضيع اللِّسانية الهامَّة، والَّذي يمسُّ بصفة خاصَّة العلامة اللُّغوية "**Le signe linguistique**" باعتبارها جزءاً مهمّاً من علم اللِّسانيات، كما أنَّها من الدِّراسات اللُّغوية الَّتي شغلت بال الكثير من العلماء قديماً وحديثاً، حيث وجدوا فيها ظالَّتهم كونها حقل خصب للبحث والاجتهاد تمخَّض عن قضية أخرى أسبق في الوجود، وأعقد من حيث الجدل الَّذي دار حولها وهي قضية نشأة اللُّغة وعلاقة اللُّغة بالفكر.

يحظى موضوع العلامة اللُّغوية والعلاقة الَّتي تربط الدَّال بالمدلول بأهمية كبيرة كون هذه العلامة اللُّغوية تشكِّل معطى نفسي وثقافي واجتماعي وحضاري يخوِّل لها بالفعل أن تكون مركز الاستقطاب في الحضارة الانسانية، وستظل كذلك، ولا يخفى على أحد اليوم ما وصلت إليه السِّيميائيات واللِّسانيات من تأثير على الدِّراسات اللُّغوية الحديثة وكشفها عن الحقائق الَّتي نشأت عليها اللُّغات، ومدى اتِّساعها وغناها أو فقرها كما تكشف عن عادات الشعوب النَّاطقة بها وعن ثقافتهم ومدى استيعاب هذه اللُّغات للمفاهيم الحضارية الجديدة.

ولعلَّ البحث في العصر الحديث قد اكتسى أهمِّية خاصة نظراً للقطيعة الَّتي أحدثها العالم السويسري فرديناند دوسوسير، والَّذي اعتبر بحق أب اللِّسانيات حيث أخرجها من فلسفة وتجريد الماضي، وجعلها خاضعة للقواعد العلمية الحديثة ممَّا جعل اللُّغة تستوعب المفاهيم الحضارية والتكنولوجية بشكل كبير لم يكن كائناً من قبل، كما أنَّ إشارته إلى مبدأ اعتباطية العلاقة بين الدَّال والمدلول رغم معارضة بعض المحدثين له هو الَّذي يعطي اللُّغة هويتها الثَّابتة وديمومتها عبر الزَّمن، ومن منطلق هذه الأهمِّية الَّتي تكتسيها العلامة اللُّغوية كان جوهر بحثنا هذا، فاعتباطية العلامة تعني أنَّ العلاقة الَّتي تربط الدَّال بالمدلول هي علاقة غير معلَّلة حسب دي سوسير، وينتج عنه عدم قدرة الفرد على تغيير أي شيء في العلامة اللُّغوية الَّتي تواضع حولها أفراد الطَّائفة اللِّسانية الواحدة.

ولمناقشة هذا المبدأ ارتأينا أن نستعرض بالنِّقاش والتَّحليل آراء لغويينا سواءً أكان ذلك من خلال نصوص التُّراث العربي الإسلامي أو من خلال الأعمال الَّتي قدَّمها بعض لغويينا في العصر الحديث، وهذا بعد أن نستعرض ماهية هذا المبدأ وأهمِّيته في الفكر اللِّساني الغربي، ابتداءً من الرِّواقيين واليونانيين وصولا إلى العصر الحديث؛ إذ ارتأينا أنَّه من الأليق منهجياً أن نتناول هذا المبدأ في الفكر الغربي أولا باعتبار أنَّنا تعرَّضنا له من خلال أعمال دي سوسير، وكذلك لكي نكون موضوعيين أكثر في دراستنا، ثمَّ نناقش وجود هذا المبدأ في نصوص التُّراث العربي الإسلامي، ونستعرض مدى اتِّساع رؤية لغويينا القدامى والمحدثين، ونعتقد أنَّه أهم عنصر في بحثنا حيث نطمح فيه أن نفصل في هذه المسألة بالشَّواهد محاولين إسقاط مبدأ الاعتباطية على خصائص اللُّغة العربية البارزة.

ونشير إلى أنَّه ليس من أهدافنا قط إثبات قدرة التُّراث العربي الإسلامي على مواجهة الفكر الغربي ولا محاكمته بالنِّسبة للحداثة، وإنَّما هدفنا الرئيس هو اقتفاء أثر هذا التُّراث من أجل زيادة الوعي به واكتشاف خفاياه، ومحاولة الوصول إلى كيفية إيجاد الحلقات الضائعة الَّتي توصل بين التُّراث العربي والأعمال الحديثة المعاصرة، وهو أهم هدف لنا على الإطلاق كمحاولة منَّا للكشف عمَّا جاء به العرب في مجال البحث اللِّساني.

1- مدخل إلى مفهوم العلامة اللِّسانية واعتباطيتها:

العلامة هي – في تعريفها العام- شيء حاضر مدرك يدلُّ على شيء غائب لا يمكنه الظهور من دونه [1]، أو هي – في تصوُّر علماء التُّراث العربي الإسلامي- كون الشَّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر [2].

[1] - Jeanne Martinet, Clefs pour la sémiologie, Editions Seghers, 1973, P : 45.

[2] - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص: 46/ عن: أحمد حساني، مباحث في اللِّسانيات- مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر، 1999م، ص: 140.

ومن هنا فالعلامة ليست مفهوماً لسانياً فحسب؛ بل هي مفهوم يعد موضوعاً في السيميائيات، والسّيميائيات هي العلم الَّذي يدرس العلامات اللُّغوية وغير اللُّغوية، ويعرفها دي سوسير متنبئاً بها: هي "دراسة حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعية" [1].

وتقابل العلامة في اللُّغة الأجنبية مصطلح "**Signe** "، ويثير هذا المصطلح اختلافاً واضحاً في النُّصوص العربية الحديثة كـ (العلامة، والسِّمة، والدَّليل، والإشارة)، وهي كلُّها مستعملة بمعنى واحد، كما يستدعي مدلوله أنواعاً للعلامة هي: الرمز **Symbol**، والأيقونة **Icone**، والقرينة **Indice**، والمؤشر **Signal**، والأمارة **Marque**، ولإدراك دلالات هذه الأنواع والفرق بينها نشير إلى تحديدها من خلال معانيها الَّتي أرادها لها السِّيميائيون: أمَّا مصطلحات: الرَّمز والقرينة والأيقونة فهي الأنواع الكبرى لأصناف العلامات عند ش. س. بيرس (**Pierce**) [2]، وهي تقابل على سبيل التَّقريب أنواع الدَّلالة في التُّراث العربي الإسلامي: الدَّلالة والدَّلالة المنطقية (وتقابلها الأيقونة) مثل دلالة الدُّخان على النَّار [3]، أمَّا مصطلحات الأمارة والمؤشر فقد ظهرا في اهتمامات الدَّرس السيميائي لدى أنصار سيميائيات التَّواصل[4] الَّذين يفرِّقون تفريقاً منهجياً حاسماً بين الأمارة **Marque** والمؤشر **Signal** – باعتباره يقوم على الفعل القصدي التَّواصلي- موضوعاً أساسياً في السيميائيات منساقين وراء التَّعريف السوسيري الَّذي يرى في

---

[1] - Ferdinande De Saussure, Cours de linguistique générale, Edition établie par Tullio De Mauro, postface de Louis- jean calvet, Editions TALANTIKIT, Béjaia, 2014, p : 33.

[2] - شارل سوندرز بيرس، فيلسوف أمريكي ولد سنة 1839، يعد أحد المؤسسين لعلم العلامات، كان عالماً موسوعياً؛ فقد كان رياضياً وفلكياً وكيميائياً بالإضافة إلى ولعه باللُّغة والأدب، وقد كان بطبعه مغامراً، حارب الدّراسات المدرسية النزعة ودعا إلى أبحاث تجريبية، له مؤلَّفات عدَّة أهمها: Collected papers, 1960، Letters to lady welby, 1953، توفي سنة 1914.

[3] - ينظر : عادل فاخوري، علم الدَّلالة عند العرب- دراسة مقارنة مع السِّيمياء الحديثة، دار الطَّليعة للطِّباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، بيروت، 1985، ص ص: 13، 24.

[4] -ينعت هذا الاتِّجاه بسيميائيات التّواصل، ويمثِّله كل من ل. بريتو(L. Prieto)، وجورج مونان (G. Mounin)، و إ. بويسنس (E. Buyessens)، الَّذي ظلَّت سيميائياتهم تقتفي أثر سوسيرمن حيث إنَّها تؤكِّد الجانب القصدي (Intention) والتَّواصلي للعلامة، وأنَّ هذا التَّواصل هو انعكاس لطبيعة اللِّسان نفسه من حيث هو نظام تواصلي: ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللِّسانيات، ص: 49.

العلامة مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية، ولذلك يقصون الأمارة الَّتي يرونها لا تمثِّل مظهراً للتَّواصل لأنَّ باثَّها- الَّذي قد يكون إنساناً كما قد يكون مظهراً طبيعياً غير عاقل كالسحاب في دلالته على المطر، والدُّخان في دلالته على النَّار- لا يشترط فيه، عند إرساله للعلامة، أن يكون قصداً للتَّواصل[1].

إنَّ العلامة "هي المفهوم القاعدي لكلِّ علوم اللُّغة، ولكن انطلاقاً من هذه الأهمِّية نفسها فهي واحدة من المفاهيم الَّتي يصعب تعريفها، هذه الصُّعوبة تزيد من منطلق محاولتنا في النَّظريات الحديثة للعلامة بالأخذ بعين الاعتبار ليس فقط الكيانات اللِّسانية الوحيدة، ولكن بالتساوي كذلك العلامات غير الشَّفهية "[2].

أمَّا الاعتباطية فهي من العبط والاعتباط، " عبط الذَّبيحة يعبطها عبطاً واعتبطها اعتباطاً: نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتية (...) وفي الحديث: من اعتبط مؤمناً قتلاً فإنَّه قودٌ، القود: قتل النفس بالنفس – لسان العرب، ص 3/ 372)، أي قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله (...) والعابط: الكذاب، والعبط: الكذب الصراح من غير عذر، وعبط عليَّ الكذب يعبطه عبطاً، واعتبطه: افتعله – لسان العرب، ص 7/ 347، 348)، ومنه ندرك أنَّ الاعتباط هو فعل ليس بينه وبين المفعول فيه علاقة سببية،وعلى هذا فالعلامة الاعتباطية هي العلامة الَّتي ليس بين دالها ومدلولها رابطة سببية" [3]. وقد تناولها القدامى تحت اسم اللَّفظة الاصطلاحية أي الَّتي يتَّفق حولها ويتواضع أفراد المجتمع الواحد.

---

[1]- ينظر: الطيب دبه، " اللِّسان البشري والأنظمة السِّيميائية الأخرى"، محاضرة مقدمة لتدريس طلبة اللُّغة والأدب العربي، قسم اللُّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللُّغات، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، ص: 14.

[2]- Oswald Ducrot, Tzue Tantodorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage , Editions du seuil, 1972, Première publication, p : 131.

[3]- الطيّب دبّه، مبادئ اللِّسانيات البنوية- دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، دار القصبة للنشر، ط: 01، الجزائر، 2001، ص: 79.

والاعتباطية مفهوم لم يتبلور إلاَّ حديثاً على يد فرديناند دي سيوسير رائد علم اللِّسان الحديث، وسنحاول مناقشة هذا المفهوم في الدَّرس اللِّساني الغربي قديماً وحديثاً، وفي كتابات اللُّغويين العرب القدامى والمحدثين، مع بيان خصائص هذه الظاهرة البيانية في اللِّسان العربي.

2- اعتباطية العلامة في الفكر اللِّساني الغربي:

يعد الحديث عن العلامة من أبرز المواضيع الَّتي اهتمت بها الدِّراسات اللُّغوية وشغلت بال الكثير من العلماء قديماً وحديثاً، وتجسَّد الاهتمام بهذا الموضوع ضمن الكثير من القضايا والمباحث ولعلَّ من أهمِّها نشأة اللُّغة وعلاقة اللُّغة بالفكر، ومسألة علاقة الدَّال بالمدلول وغيرها ... وهو ما سنتناوله بالمناقشة من خلال وجهات النظر المختلفة للفلاسفة والعلماء تجاه مسألة اعتباطية العلامة في الفكر الغربي.

2-1- العلامة اللِّسانية واعتباطيتها عند الإغريق:

إنَّ تأمُّلات الإغريق وملاحظاتهم في العلامة مرتبطة بنمط القياس الَّذي جمَّد التَّفكير في إطار منطق شكلي، بحيث تتَّسم دراسات الإغريق بروح حضارتهم القائمة على الاستنتاجات المنطقية العقيمة والفكر الفلسفي المجرَّد [1] . وبكلِّ موضوعية نقول إنَّ الدِّراسات الرِّواقية تدين لها كل الأبحاث الحديثة في اللُّغة؛ فمن بين " المدارس الفلسفية الَّتي ظهرت في أثينا بعد أرسطو؛ فإنَّ أكثر المدارس أهميّة في تاريخ علم اللُّغة هي المدرسة الرِّواقية الَّتي أسَّسها زينون (حوالي 300 ق.م) (...) وقد أحرز علم اللُّغة في ظلِّ الرِّواقيين منزلة واضحة داخل الإطار العام للفلسفة، فقد عولجت المسائل اللُّغوية بشكل واضح في أعمال

[1] - "وقد كان استعمال المنطق اليوناني في الدراسات الإسلامية، حينئذ، مثاراً لجدل وخلاف كبيرين. وفي مقابل الذين احتضنوا الفكر اليوناني من علماء المسلمين قام علماء آخرون نادوا برفضه وإظهار نقائصه وبيان بطلانه، مستدلين بأنَّ هذا المنطق إنَّما يقوم ويعبِّر عن خصائص اللُّغة اليونانية الَّتي تخالف لغة القرآن ولغة المسلمين": ابن تيمية، الرَّد على المنطقيين، تقديم: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، ط: 01، 1993، ص ص: 6- 14، 52- 255، وينظر أيضاً: محمد البهي، الفكر الإسلامي في تطوره، دار الفكر، ط: 01، 1971، ص: 21/ عن: الطيب دبه، التفكير السيميائي في اللُّغة والأدب- دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، ط: 01، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2015، ص: 28.

مستقلة خصصت للجوانب اللُّغوية "[1]. كما تمثِّل العلاقة بين العلامات والأشياء مقولة أساسية عند الرِّواقيين الَّذين طرحوا في الفكر اليوناني قضية العلامة، فقد "صاغ الرواقيون ثنائية الصيغة والمعنى مميزين في اللُّغة بين " الدال " و " المدلول " اللَّذين يذكراننا بشكل لافت للنظر باصطلاحي دي سوسير " الدال **Signifiant** والمدلول **Signifié** "، أمَّا النُّصوص المرتبطة بالموضوع فيصعب تفسيرها، ولكن يبدو أنَّ المدلول لم يكن صورة ذهنية بشكلٍ كامل، بل كان شيئاً ما في ذهن المتكلِّم والمستمع يقابل نطقاً معيناً في اللُّغة، وهذا يشبه إلى حد ما توحيد سوسير للصوت والفكرة عن طريق اللُّغة **La langue** "[2] "[3].

لقد تجلَّت مناقشة اعتباطية العلامة عند الإغريق- ضمن مخاضها المعرفي- عبر مسألتين لغويتين شكَّلتا الإطار الإبستمولوجي الَّذي انبثقت منه جميع الدِّراسات اللُّغوية وهما مسألة نشأة اللُّغة، ومسألة قيام الدَّرس اللُّغوي على مبدأي القياس والشذوذ.

في الحضارة اليونانية اتَّسم البحث في نشأة اللُّغة بطابع فلسفي بحت، وقد تنازع القول في نشأة اللُّغة الفيلسوفان أفلاطون الَّذي يرى أن اللُّغة ظاهرة طبيعية ليس للإنسان شأن في وجودها، وأرسطو الَّذي اتَّخذ وجهة نظر عرفية بشكل حازم، " فاللُّغة نتاج العرف ما دامت الأسماء لا تنشأ بشكل طبيعي" [4]، كما أنَّ المحاكاة الصَّوتية لا تحتم نقض هذا الرَّأي، نظراً لأن صيغ المحاكاة الصَّوتية تختلف من لغة إلى أخرى، وهي قليلة في فونولوجيا كل لغة على حدة [5]. وعليه فقد كان لكلٍّ منهما أتباع ممَّا أدَّى إلى اضطرام المواقف الفكرية بينهم في مسألة نشأة اللّغة ونتيجة لذلك "كانت هناك مدرستان: الأولى :

---

[1]- ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللُّغة (في الغرب)، تر: أحمد عوض، ط: 03، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، نوفمبر 1997، ص: 36.

[2]- DIOGENES 7.62 ; BARWICK, 1957,chapter 1 ; Long , 1971, chapter 5 ; F .DESAUSSURE, cours de linguistique générale, (fourth édition), Paris, 1949, 156-7/ عن: المرجع نفسه، ص: 37.

[3]- المرجع نفسه، ص : 37.

[4]- ARISTOTLE, De interpretatione/ عن: المرجع نفسه، ص: 41.

[5]- المرجع نفسه، ص : 42.

تسمَّى بالمدرسة الوضعية أو الشذوذية بزعامة الفيلسوف: كراتيس، والَّذي يرى أنَّ اللُّغة فطرة وإلهام، الثَّانية: تسمى بالمدرسة القياسية أو المدرسة النَّظرية وزعيمها الفيلسوف " أرستراخوس" من القرن الثاني أو الثالث ق.م. ويرى أنَّ اللُّغة في أصل نشأتها كانت بالاصطلاح "[1].

وبين هذا وذاك اتَّخذ أبيقور (341- 270 ق. م) موقفاً وسطاً " معتقداً أنَّ صيغ الكلمات قد نشأت بشكلٍ طبيعي، ولكنَّها تغيرت عن طريق العرف وبشكل أكثر أهمِّية في تاريخ علم اللُّغة؛ فإنَّ الرِّواقيين قد تحيَّزوا للأساس الطبيعي للُّغة، معوِّلين إلى حد كبير على المحاكاة الصوتية والرَّمزية الصَّوتية "[2].

2-2- العلامة اللُّغوية في الفكر الأوربي المسيحي للقرون الوسطى

أمَّا في الفكر المسيحي للقرون الوسطى؛ فقد تميَّزت هذه الفترة بفلسفتها اللاَّهوتية لتجد بذلك العلامة نفسها من خلال أنماط الدَّلالة في إطار الفلسفات المتأثِّرة بالأديان المؤمنة بالتَّوحيد وبوجود كائن متعال- هو الله-لا تمثّل مظاهر العالم إلاَّ تجلِّيات له، تقرأ بوصفها علامات تؤكِّد وجود الله [3].

وقد أقام بعض المناطقة والقواعديين في هذه الفترة تمييزاً آخراً يقتضي تقابلاً بين الصورة والمادَّة، أي تقابلاً بين الافتراض الصوري والافتراض المادي، والكلمة في افتراضها الصوري تمثِّل أو تصدق على شيء أو شخص [4]. ويتكرر نفس التَّمييز بين الصيغة والمادَّة في مواضع كثيرة في القواعد التأمُّلية المودستية **Modistic**، والاختلاف بين **Vox** " صوت" و **dictio** "كلمة" الَّذي عالجه برشيان والَّذي يرجع

---

[1]- عبد القادر عبد الجليل، اللُّغة بين ثنائية التَّوقيف والمواضعة، ط: 01، دار الصَّفاء، سلسلة الدِّراسات اللُّغوية، عمَّان – الأردن، 1417هـ/ 1997م، ص: 32.

[2]- ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ص: 42.

[3]- سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السِّيميوطيقا، (مقال السِّيميوطيقا في الوعي المعرفي المعاصر، لأمينة الرشيد)، ج: 01، ص ص: 50، 51.

[4]- J. P. Mullally ; The Summulae logicales of peter of spain ; notre dame ; 1945/ ينظر: المرجع السَّابق، ص: 137.

في الواقع إلى التّرواقيين، يعبّر عنه ميشيل دي ماربيس **M. De Marbais** (القرن الثالث عشر) بقوله: " تضم الكلمة في ذاتها صوتها بوصفه مادَّتها، ومعناها بوصفه صيغتها" [1].

2- في القرن التاسع عشر

تميَّزت هذه الفترة بامتداد روافد معرفية ساهمت في إثراء البحث في مجال اللُّغة، إلاَّ أنّ " المنزع الَّذي طبع الفكر البشري بصورة عامَّة هو المنهج الجدلي الَّذي تأسَّس على يد " هيجل" **(1770-1831)** و "ماركس " **(1818- 1883)**، اللَّذين تمكَّنا من فضِّ إشكال التعارض بين الواقع والفكر بنظرة شاملة لجميع ظواهر الكون" [2]، الأمر الَّذي شكل أهم روافد فلسفة المعرفة الَّتي كانت أساساً هاماً من الأسس الفكرية والمعرفية الَّتي قامت عليها اللِّسانيات ومعها السيميائيات في شكل المشروع العلمي خلال النصف الأوَّل من القرن العشرين.

أمَّا فيما يخص العلامة اللُّغوية، ومكانتها من الدِّراسة في القرن التاسع عشر فتتمثَّل في التَّعريف العام للاسم، و "الاسم: هو ما دلَّ على إنسان أو حيوان أو جماد"، والمعيار الواضح والمستخدم في التَّعريف هنا هو المعنى، أي علاقة اللَّفظ بالعالم الخارجي [3].

لقد تبوَّأت العلامة منزلة هامَّة في الفكر الإنساني بمختلف روافده الحضارية، وهذا من خلال ذلك المخاض المعرفي الطَّويل الَّذي أدَّى إلى نشوء السّيميائيات واللِّسانيات حتى أصبحا علمين قائمين بذاتهما، لهما مبادئهما ونظرياتهما الَّتي لم تجد سبيلها للظهور إلاَّ في مطلع القرن العشرين على يد العالمين العبقريين: ش. س. بيرس، وفرديناند دوسوسير في شكل مشروع علمي لم يكتمل، ومسيرة لا تزال في طور النضوج رغم التقدم الهائل الَّذي أحرزته.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 138.

[2]- عبد السَّلام المسدي، اللِّسانيات المعرفية، الدَّار التُّونسية للنَّشر، 1986، ص، 110.

[3]- ينظر: نايف خرما، أضواء على الدِّراسات اللُّغوية المعاصرة، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1398هـ/ 1978م، ص: 104.

4- مفهوم العلامة اللّسانية واعتباطيّتها في الدّرس اللّساني الحديث:

إنَّ أهمَّ ما يميّز القرن العشرين منذ بدايته هو تلك القطيعة الّتي حدثت في مسيرة الحياة البشرية، وعلى جميع المستويات، حيث حرَّرتها من فلسفة وتجريد الماضي الّذي كان حبيس المنطق والعرف، هذه القطيعة الّتي أعطت السيادة للعلم، وحطّمت كل الحواجز [1]، وجعلت البشرية تستخدم العقل بطريقة أفضل وأكثر تفتحاً لتنطلق في مسيرة لا تعرف حدوداً ولا نهايات.

لقد اهتمت البشرية باللُغة وماهيتها ونشأتها وعلاقتها بالفكر بطريقة جديدة وبمنظور جديد تختلف عمَّا كان سائداً من قبل بطريقة فلسفية مجرَّدة [2]، وذلك بفضل جهود أبرز لغويي القرن العشرين العالم السويسري فرديناند دوسوسير (**F . De Saussure**)، والعالم الموسوعي الأمريكي ش. س. بيرس (**Ch . S . Peirce**)، **وأعمالها حول العلامة مع إدراك الفرق بينهما في تناول العلامة ونطاق استخدامها.**

4-1- تعريف العلامة اللُّغوية عند فرديناند دوسوسير:

أحدث دوسوسير القطيعة مع الدّراسات اللُّغوية الّتي سبقته معتقداً أنَّ أسلافه قد أخفقوا في التّفكير جدّياً أو على نحو سليم فيما كانوا يبحثون، حيث يقول: " أنَّ علم اللُّغة لم يحاول قط أن يحدّد طبيعة الموضوع الّذي كان يدرسه، وإنَّ العلم لا يستطيع بدون هذه العملية الأوّلية أن يطور منهجاً ملائماً ". [3]

---

[1]- كانت الكنيسة تقف لكل اختراع علمي أو اكتشاف جديد، وتعتبره خروجاً عن تقاليدها وغالباً ما يعدم المكتشف للشَّيء أمام الملأ.

[2]- باستثناء التُّراث العربي الّذي لا يقل أهمّية في مضمونه عمَّا جاء به المحدثون والفرق الوحيد يكمن في الصياغة الدقيقة للنظرية.

[3]- Tullio De Mauro, F. De Saussure, cours de linguistique générale, Editions Payot, Paris, 1973, p : 16/ عن: جوناثان كلر، فرديناند دي سوسير (أصول اللّسانيات الحديثة وعلم العلامات)، تر: عز الدّين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط: 01، 2000، ص: 71.

تحتلُّ العلامة اللُّغوية مكانة جوهرية في الدَّرس اللُّغوي عند دوسوسير، إذ تعتبر من أهمِّ المفاهيم الَّتي أقام عليها نظريته اللِّسانية، حيث يقوم مذهبه على مجموعة من التَّقسيمات نسبت إلى هوس التَّقسيم لديه، وإذا كان سوسير مهووساً حقاً فقد وعى تماماً هذا الهوس، حيث قسَّم اللُّغة إلى مجموعة من الثُّنائيات الَّتي تحوي زوجاً من القضايا [1].وتعتبر ثنائية الدَّال والمدلول (أو العلامة اللِّسانية) من أهم الثُّنائيات نظراً لكونها تشكِّل المفهوم المركزي في منهجه والوحدة الأساسية في تعريف اللُّغة، ونظراً لعلاقتها بجميع مفاهيم الدَّرس اللُّغوي الأخرى. فكيف عرَّفها إذن؟ وهل العلامة وحدة ثنائية المبنى أم وحدة ثلاثية المبنى؟ هل العلامة كيان مستقل أم أنَّها وسيط؟

وللإجابة على هذه الأسئلة علينا أن نعرف أنَّ " أوَّل ما أثار انتباه دي سوسير، في رؤيته للعلامة اللِّسانية، هو ذلك التَّعريف التَّقليدي الوارد في كثير من الدِّراسات اللُّغوية السَّابقة والَّذي مفاده أنَّ حدَّ الكلمة هو ذلك الرَّابط الَّذي يجمع بين اسم وشيء، ويرى دي سوسير أنَّ هذا التَّعريف يبدو مستنداً إلى تصور يمثِّل عملية بسيطة جداً وبعيدة عن الحقيقة، ولذلك عمد إلى تقديم تعريف بديل يرى فيه أنَّ العلامة اللِّسانية لا تربط شيئاً باسم بل مفهوماً (أو تصوُّراً) **Concept** بصورة سمعية **Image acoustique**، وليس المراد بالصُّورة السَّمعية هو الصَّوت المادِّي الَّذي هو شيء فيزيائي بحت، إنَّما هي تمثُّلات هذا الصَّوت في ذهن المتكلِّم أو السَّامع، أي ذلك التمثُّل الَّذي تهبنا إيَّاه شهادة حواسنا " [2].

وبهذا التَّعريف يكون دوسوسير قد وضع تحديداً دقيقاً لتعريف العلامة بأنَّها " وحدة ثنائية المبنى تتكون من وجهين يشبهان وجهي الورقة، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، الأوَّل هو " الدَّال: **Signifiant** "، وهو عند سوسير حقيقة نفسية أو صورة سمعية تحدثها في دماغ المستمع سلسلة الأصوات الَّتي تلتقطها أذنه، وتستدعي إلى ذهن هذا المستمع صورة ذهنية أو مفهوم هو " المدلول:

[1]- ينظر : جورج مونان، علم اللُّغة في القرن العشرين، نص عن فرديناند دوسوسير، تر: نجيب غزاوي، مطابع مؤسَّسة الوحدة، 1402هـ/ 1982م، الجمهورية العربية السورية، ص: 49.

[2]- Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Edition critique établie par Tullio De Mauro, Editions Talantikit, Béjaia, 2014, p : 98.

Signifié "، ولذلك يمكن أن نستنتج من هذا التَّعريف أنَّ العلامة عند سوسير هي نتاج عملية نفسية "[1].

4-1-1- الدَّال Signifiant : ويقابل مصطلح الدَّال عند دوسوسير مفهوم الصورة السَّمعية **Image acoustique**، و" الدَّال في النَّظرية السوسيرية للعلامة هو الشَّكل الملموس والمدرك عن طريق الأذن (الصورة السَّمعية) والَّذي يشير إلى المدلول، إذن هو صوت أو تتابع أصوات يمكن تمثيلها ثانوياً من خلال الرُّموز البيانية، والدَّال اللِّساني خطي دائماً أي أنَّ عناصره تتوالى ولا يمكنها أن تكون متزامنة "[2].

4-1-2- المدلول Signifié: أمَّا المدلول فهو ذلك المكوِّن الَّذي يشير إليه الدَّال، إلاَّ أنَّ طبيعة المدلول أسفرت عن نقاشات انصبت أساساً على درجة " واقعيته" وهي مع ذلك تتَّفق جميعها في الإلحاح على كون المدلول ليس " شيئاً " ولكنَّه تمثُّل نفسي لد " الشيء " (...) ولقد حدَّد دوسوسير ذاته جيداً، الطَّبيعة النَّفسية للمدلول جينما أسماه مفهوماً؛ فليس مدلول كلمة ثور هو الحيوان ثور، وإنَّما صورته النَّفسية (وهذا أمر مهم لمتابعة النقاش حول طبيعة العلامة) [3].

بهذا التَّعريف للعلامة نرى بأنَّ دوسوسير قد أقصى كل ما يمثِّل مادَّة من مكوِّنات العلامة، أي ما يسمَّى بالمرجع [4] : **Le référent**. بالإضافة إلى إقصائه لكلٍّ من الدَّلالة والصَّوت.

---

[1]- سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، " السيميوطيقا: مدخل حول بعض المفاهيم والأبعاد"، ص: 19.

[2]- Georges Mounin et Autres, Dictionnaire de la linguistique, Editions Quardrige Dicos Poche, Paris, 2006, p : 300.

[3]- ينظر: رولان بارت، مبادئ في علم الأدلَّة، تر وتق: محمَّد البكري، دار قرطبة للطِّباعة والنشر،الدَّار البيضاء، 1986، ص: 71.

[4]- والمقصود بالمرجع كل ما تحيل عليه العلامة في الواقع الخارجي، أو ما أسماه دوسوسير الواقع الخارج عن المدى اللُّغوي: la réalité extra linguistique/ ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللِّسانيات البنوية – دراسة تحليلية ابستمولوجية- دار القصبة للنشر،الجزائر، ط: 01، 2001م، ص: 78.

وقد شبَّه دوسوسير العلاقة الموجودة بين الدَّال والمدلول بالعلاقة الموجودة بين وجه الورقة وظهرها؛ إذ يقول أنَّه " من المستحيل قطع الوجه الأمامي دون القطع في الوجه الخلفي في نفس الوقت، إذن فإنّ سوسير يمنح للعلامة مظهرين أساسيين ومرتبطين، مظهر صوري "شكلي" الَّذي يمثِّل ("الدَّال أو " الصورة السَّمعية")، ومظهر يعتبر من طبيعة الأفكار يمثِّل (" المدلول" أو " التصوُّر الذِّهني") " [1].

وقد انقسم مؤيِّدوا سوسير ومعارضيه حول مسألة إقصاء المرجع من تعريف العلامة اللِّسانية، ذلك أنَّ إقصاء دوسوسير للمرجع و " الصَّوت من مكوِّنات العلامة اللِّسانية يعود إلى كونه ينطلق في صياغة منهجه اللِّساني، من تصوُّره للُّغة، الموضوع الجوهري للدِّراسة اللِّسانية، بوصفها تعاقدات **Conventions**، نفسية وذهنية مستقرَّة في أدمغة النَّاطقين باللِّسان الواحد، ونظاماً من القواعد والقوانين الصُّورية القابلة للنَّمذجة والتَّصنيف، ودراسة هذا شأنها ليس من أغراضها أن تهتمَّ بالواقع المادِّي للُّغة ولا بآلياته " [2].

ويرى مؤيِّدوا دوسوسير أنَّ " المرجع **Référent** " هو ما يشير إلى العلامة اللِّسانية، فهو ليس له وجود واقعي بالضَّرورة ، إذ يمكن أن يكون افتراضياً مثل: **le centaure** [3] " [4].

وكما كنَّا قد أشرنا إليه سابقاً فالصُّورة الذِّهنية المثارة في العقل من طرف حقيقة مادِّية محسوسة، هي صورة ذهنية لشيء موجود في الواقع، إذن هذا الشَّيء الخارجي الموجود في الواقع يدخل في تعريف العلامة أم لا؟ وهل يدخل فعلا في تحديد أبعاد العلامة بوصفه شيئاً موجوداً ؟ وحول هذه النُّقطة بالذَّات ينقسم علماء السِّيميائيات إلى فريقين، فريق يؤيِّد فكرة إدخال المرجع في تعريف العلامة كأحد

[1] - Roger G. Van De Velde, Introduction à la méthodologie structurale de la linguistique, Editions Labor, Paris, p :90.

[2] - الطيب دبة، مبادئ اللِّسانيات البنوية- دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص: 78.

[3] - حيوان أسطوري نصفه أنسان ونصفه حصان.

[4] - Véronique Schott-Bouret, Approches de la linguistique, Editions Armand Colin, 2005 , p : 16.

أبعادها الأساسية، وفريق آخر يرفض إدخاله في نطاق تعريف العلامة ممَّن اقتفوا مسار دوسوسير، ومنهم: ستيفان أولمان **S. Ullman** في مجال علم الدَّلالة، وأمبرتو إيكو **U. Eco** في مجال السِّيميائيات.

ومن الَّذين اعترضوا على دوسوسير في هذه المسألة نجد كلٌّ من أوقدن **Ogden** وريتشاردز **Ridchards** وذلك في كتاب اشتركا في تأليفه بعنوان: " معنى المعنى " " **The meaning of meaning**" معتبرين المرجع مكوِّناً هامّاً من مكوِّنات العلامة، وقد حدَّداها فيما يلي: الفكرة: وتقابل المدلول عند دوسوسير، والمرجع: الشَّيء المادِّي الَّذي تشير إليه العلامة، والرَّمز: ويقابل الدَّال عند دوسوسير، وهما يستندان في ذلك إلى حجة مفادها أنَّ عناصر اللُّغة ما هي إلاَّ علامات تملك دلالات محدَّدة (...) وأنَّ الخاصية الأساسية للرُّموز اللُّغوية هي خاصيتها " المرجعية" **Caractère Référentiel**، وأنَّه يمكننا الحديث عن مدلول ولكن فقط في الاعتبار الَّذي يمكن فيه للكلمات أن تصبح "موجَّهة إلى"، و"راجعة إلى"؛ أي أنَّ الكلمات لا تعني شيئاً في ذاتها "[1].

5- اعتباطية العلامة اللِّسانية عند فرديناند دوسوسير: l'Arbitraire du signe

تمتاز العلامة اللِّسانية بخصائص [2] أساسية استمدها دوسوسير من جوهر طبيعتها التَّكوينية، وأهمُّها هو خاصية الاعتباطية والَّتي تعني أنَّ العلاقة بين الدَّال والمدلول علاقة تعسُّفية [3]، وبعبارة أخرى، إنَّ العلاقة بين التصوُّر والصورة السَّمعية هي علاقة تواضعية أي لا يوجد أي رابط داخلي طبيعي بينهما، إذ من الممكن أن يكون هذا الدَّال ممثَّلا بتتابعات صوتية أخرى غير الَّتي تمَّ التَّواضع عليها، و" يعتقد دوسوسير اعتقاداً مبدئياً حاسماً أنَّ العلاقة تنشأ من علاقة اعتباطية بين دالِّها ومدلولها، ويقصد دي

[1] - Enrico Arcaini, Principes de linguistique appliquée, Payot Paris, 1972, p : 164 / ينظر: الطيّب دبة، مبادئ اللِّسانيات البنوية- دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص ص: 78، 79.

[2] - وهذه الخصائص تتمثَّل في اعتباطية العلامة اللِّسانية، وخطِّية الدَّال، وثبات العلامة اللُّغوية وتبدُّلها.

[3] - ويعني التعسُّف هنا عدم وجود علاقة سببية بين الدَّال والمدلول، حيث يمثِّل الدَّال اختياراً صوتياً تواضع عليه النَّاطقون باللُّغة الواحدة اعتباطياً ومن دون تعليل للدَّلالة به على مدلول معيَّن.

سوسير بذلك أنَّ الدَّال لا توجد بينه وبين مدلوله علاقة معلَّلة، إنَّما يمثِّل الدَّال اختياراً صوتياً جزافياً تواضع عليه أهل اللُّغة الواحدة للدَّلالة به على مدلول معيَّن" [1]،

فنجده يشرح لنا ذلك بقوله: " وهكذا فإنَّ فكرة " أخت" لا ترتبط بأي علاقة داخلية مع تتابع الأصوات: " أ، خ، ت" (...) وحجَّتنا في ذلك إنَّما هي الاختلافات القائمة بين اللُّغات، ووجود اللُّغات المختلفة في حدِّ ذاته دليل على ذلك " [2].

وعليه؛ فإنَّ النَّواة التصوُّرية لمفهوم اعتباطية العلامة عند دوسوسير، تكمن في الواقع في حقيقتها التَّواضعية، إلاَّ أنَّ دوسوسير يتحفَّظ في إطلاق هذا المبدأ على جميع العلامات اللِّسانية إذ يقول بأنَّ " اختيار الدَّال ليس دائماً اعتباطياً، لكنَّ هذه الدَّوال الَّتي ترتبط ومدلولاتها عن طريق محاكاة الأصوات **les onomatopées**، ليست أبداً عناصر عضوية في نظام لساني؛ فعددها أقل جدّاً ممَّا نعتقد، مثل كلمة: سوط **Fouet**، أو كلمة جرس حزن **Glas**، فهي وإن كان بإمكانها أن تصل إلى بعض الآذان عن طريق أصواتها الإيحائية، إلاَّ أنّها لا تملك هذه الصِّفة في بنيتها الأصلية، يكفي أن نعود إلى شكلها الاشتقاقي من اللاَّتينية؛ فكلمة **Fouet** مشتقة من **Fagus** " **Hêtre** "، وكلمة " **Glas** " من " **Classicum** "، لنعرف أنَّ نوعية أصواتهم الحالية، أو بالأحرى تلك المنسوبة إليهم هي نتيجة حتمية للتطوُّر الصَّوتي " [3]، وبالتالي فإنَّ دوسوسير يؤكِّد على قوَّة مبدأ الاعتباطية أمام المحاكاة الصَّوتية.

وقد اعترض على هذا المبدأ اللِّساني الفرنسي إميل بنفنيست، والَّذي يرى أن لا وجود لعلاقة اعتباطية بين الدَّال والمدلول، وإنَّما العلاقة الاعتباطية موجودة بين العلامة والمرجع الَّذي تحيل عليه في الواقع، أما ما يربط الدَّال والمدلول فهو علاقة تلازمية ترابطية لأنَّ كلاهما يستدعي الآخر في ذهن المتحدِّث، حيث يقول: " إنَّ المفهوم (المدلول) " **Bœuf**" (ثور)، هو قسراً، مماثل – في ذهني-

[1]- الطيّب دبّة، مبادئ اللِّسانيات البنوية- دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص: 79.

[2]- Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Edition critique établie par Tullio De Mauro, p : 100.

[3]- Ibid, p p : 101, 102.

للمجموع الصَّوتي (الدَّال) **bof** (...) فكيف يكون الأمر غير ذلك؟ إنهَّما منطبعان في عقلي، وهما معاً يتداعيان في أي ظرف من الظُّروف " [1].

إنَّ الخاصية الاعتباطية للعلامة تحمي في الحقيقة اللُّغة من كلِّ محاولة تهدف لتغييرها، فهي تمنع الفرد من تغيير أي شيء في العلامة اللُّغوية، ولو كانت العلاقة بين طرفي العلامة معلَّلة لكانت محاولة الفرد في تغييرها أمراً ممكناً، ولكنَّها في الوقت ذاته تعمل على تغيير اللُّغة بوصفها مؤسَّسة اجتماعية تقدِّم إنتاجها المستمر مبنياً على خاصية التبدُّل؛ فاللُّغة تتبدَّل وتتطوَّر تطوُّراً حتمياً بتأثير العوامل الَّتي تبنى بها الأصوات والمعاني [2].

6- اعتباطية العلامة في الفكر اللِّساني العربي:

لقد بدأ اهتمام المسلمين بدراسة العلامة منذ بداية اهتمامهم بنصوص القرآن الكريم، أين تغيرت نظرتهم للكون وللإنسان، وأصبح الاهتمام باللُّغة من باب التفقُّه في الدِّين والعناية بالقرآن الكريم للوصول إلى أحكامه وتشريعاته وتأويله. وإذا ما قارنا أعمال المسلمين بما وصل إليه المحدثون نجدهم لا يقلُّون أهمِّية عنهم في المضمون العام لرؤيتهم للعلامة، والفرق الوحيد يكمن في افتقار المسلمين إلى صياغة نظرية ومنهج دقيق.

6-1- مفهوم العلامة اللِّسانية عند القدامى:

[1] - /Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, Paris Gallimard, 1966, T01, p : 51
عن: الطيب دبة، مبادئ اللِّسانيات البنوية- دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص: 80.

[2] - ينظر: الطيّب دبة، المرجع السَّابق، ص: 81.

انبثق مفهوم العلامة كنتيجة للدِّراسات والتأمُّلات الَّتي حدَّدتها في إطارها العام على أنَّها " كون الشَّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر " [1]. ويشرح ابن فارس مادَّة دلَّ في معجمه مقاييس اللُّغة: " الدَّال واللاَّم، أصل يدلُّ على إبانة الشَّيء بأمارة تتعلَّمها، والدَّليل الأمارة في الشَّيء " [2].

وقد أورد ابن سينا تعريفاً للعلامة اللِّسانية في كتابه الشِّفاء هو أوضح وأدقُّ تحديداً إذ يقول: " إنَّ الإنسان قد أوتي قوَّة حسِّية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدَّى عنها إلى النَّفس، فترتسم فيها ارتساماً ثانياً ثابتاً، وإن غابت عن الحس (...) ومعنى دلالة اللَّفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النَّفس معنى، فتعرف النَّفس أنَّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلَّما أورده الحسُّ على النَّفس التفتت إلى معناه " [3].

فمسموع الاسم عند ابن سينا يقابل الصُّورة السَّمعية عند دوسوسير أو الدَّال، والمعنى أو المفهوم عند ابن سينا يقابل التصوُّر أو المفهوم (المدلول) عند سوسير، نلاحظ أنَّ هناك تطابقاً في تعريف العلامة بينهما، وتوافقاً تامّاً في إلغاء المرجع كمكوِّن من مكوِّناتها.

وفي المقابل لابن سينا نجد لفيفاً من اللُّغويين الأقدمين يعتبر المرجع طرفاً أساسياً في تعريف العلامة اللِّسانية، ومنهم الغزالي في كتابه معيار العلم، حيث يقول: " إنَّ للشَّيء وجوداً في الأعيان، ثمَّ في الأذهان، ثمَّ في الألفاظ، ثمَّ في الكتابة، فالكتابة دالَّة على اللَّفظ، واللَّفظ دال على المعنى الَّذي في النَّفس، والَّذي في النَّفس هو مثال الموجود في الأعيان " [4].

---

[1]- الشريف الجرجاني،كتاب التَّعريفات، ص: 46/ عن: أحمد حساني، مباحث في اللِّسانيات- مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، الجزائر، ص: 140.

[2]- ابن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، تح: عبد السَّلام هارون، بيروت- لبنان، مادَّة (دلَّ)/ عن: المرجع نفسه، ص: 140.

[3]- ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله)، الشفاء (العبارة)، تح: محمَّد الخضيري، القاهرة، 1970، ص ص: 03، 04/ عن: المرجع نفسه، ص: 142.

[4]- الغزالي أبو حامد، معيار العلم، تح سليمان دنيا، ط: 02، دار المعارف، القاهرة، ص ص: 35، 36/ عن: أحمد حساني، مباحث في اللِّسانيات، ص: 143.

لقد فصَّل الغزالي بدقَّة تلك المقدرة الإنسانية في إدراك الواقع وفهم آلية عمل النِّظام التَّواصلي، وبالتَّالي فقد كان سبّاقاً في شرح علاقة العلامات بالمراجع الَّتي ترتبط بها، ودور الحواس في تحديد هذه التصوُّرات، وهذا ما أكده أقدن وريتشاردز لاحقاً في كتابهما "معنى المعنى "، والَّذين وصفا العلاقة بين الكلمات والأفكار وعلاقة هذه الأخيرة بالمراجع **Référent.**

أمَّا أبو حيَّان التّوحيدي فقد أعطى تعريفاً يوحي بتعريف العلامة اللُّغوية والَّذي يقول فيه:" " الاسم ما صحَّت به الإشارة إلى المشار إليه "[1]،وكأنَّما هو يقسِّم العلامة- الَّتي يستخدم لها ههنا مصطلح الإشارة- إلى: - اسم (وهو ما يقابل في الاصطلاح الحديث مصطلح اللَّفظ الدَّال)، - ومشار إليه، وهو لا يخلو من أن يكون المعنى الَّذي يشير إليه الاسم (أي المدلول)، أو الشَّيء المادِّي الَّذي وضع للدَّلالة عليه (المرجع). وكأنَّما يريد أن يقول بذلك إنَّ الإشارة لا تتحقَّق إلاَّ بوجود اسم تتمُّ به الإشارة إلى المشار إليه. – وصحَّة الإشارة الَّتي لا نرى لها معنى آخر ههنا، يريده التوحيدي، غير المواضعة **Convention** الَّتي من دونها، لا تملك العلامة شرعية الوجود الدَّلالي" [2].

7- الإطار الابستمولوجي لمفهوم الاعتباطية عند القدماء:

لقد ارتبط موضوع الاعتباطية منذ القديم بموضوع آخر كانت له أهمِّية كبيرة بالنِّسبة للباحثين في ميدان اللُّغة والمهتمِّين بماهيَّتها، ألا وهو موضوع نشأة اللُّغة وكيفية إطلاق الأسماء على المسمَّيات، والعلاقة الَّتي تربط هذه الأسماء بتلك المسمَّيات؛ فقد شُغل النَّاس منذ القديم، ولا يزالون ينشغلون بموضوع نشأة اللُّغة، وذلك لأنَّ موضوع اللُّغة هو -في الحق- موضوع "الإنسان"، ومنذ زمن بعيد والإنسان يحيِّره عدد من الأسئلة: كيف نشأت اللُّغة؟ أهي وحي من الله علَّمها للإنسان؟ أم هي من صنع الإنسان؟ [3].

---

[1]- التوحيدي أبو حيّان، مثالب الوزيرين، تح إبراهيم الكيلاني، طبعة دمشق 1961، ص: 151/ عن: الطيب دبة، التَّفكير السِّيميائي في اللُّغة والأدب دراسة في تراث أبي حيان التَّوحيدي، ط: 01، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2015، ص ص: 35.

[2]- المرجع نفسه، ص ص : 35، 36.

[3]- ينظر:عبده الرَّاجحي، فقه اللُّغة في الكتب العربية، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت- لبنان، 1972، ص: 77.

هناك آراءٌ عدَّة وأقوال شتّى تقلِّب الطَّرف بين الأدلَّة النَّقلية والأدلَّة العقلية في هذا الموضوع الَّتي نحن بصدده، ألا وهو اللُّغة بين ثنائية التَّوقيف والمواضعة؛ فنظرية التَّوقيف – النَّظرية المحافظة- والَّتي تذهب إلى تأكيد الجانب الطَّبيعي في إيحائية اللُّغة، ونظرية المواضعة- النَّظرية المتحرِّرة- الَّتي تؤكِّد الجانب الاجتماعي للُّغة [1]. بالإضافة إلى نظرية التَّقليد والمحاكاة.

7-1- القائلين بالتَّوقيف: جاء القول بالتَّوقيف أساساً بالاعتماد على قوله تعالى: **"وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ: قَالُوا: سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ، قَال يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَئِهِمْ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَات والأَرْضِ "** [2]. ومن القائلين بهذه النَّظرية من العرب نجد: ابن فارس، والسيوطي.

7-2- القائلين بالاصطلاح: ويرون أنَّ اللُّغة من تواضع النَّاس واصطلاحهم، ومنهم ابن جني، حيث قال: "كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكلِّ واحدٍ منها اسماً أو لفظاً، إذا ذكر عرف به مسمَّاه ليمتاز عن غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين .." [3]. إلاَّ أن ابن جني لا يثبت عند نظرية المواضعة فهو يجمع بين التوقيف والمواضعة، كما له باب في كتابه الخصائص يتحدَّث فيه عن تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ويشير فيه إلى الألفاظ الَّتي تخص المحاكاة، إذ يقول: " ثمَّ لا أرفع أيضاً أن تكون في بعض ذلك أغراض لهم، عدلوا إليه لها ومن أجلها، فإنَّ كثيراً من هذه اللُّغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال الَّتي عبّر بها عنها، ألا ترى أنَّهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء... وسمَّوا الغراب غاق حكايةً لصوته، والبطُّ بطاً حكايةً لأصواته" [4].

---

[1]- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، اللُّغة بين ثنائية التَّوقيف والمواضعة، ط: 01، دار الصفاء، سلسلة الدِّراسات اللُّغوية، عمَّان- الأردن، 1417هـ/ 1997م،ص: 14.

[2]- سورة البقرة، 31، 32.

[3]- ابن جني(أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح : محمَّد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج: 04، ص: 44.

[4]- المرجع نفسه، ج: 01، ص: 65.

بالإضافة إلى ابن جنّي نجد أستاذه أبو علي الفارسي الّذي يجمع بين التّوقيف والاصطلاح، ومعه سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط من القرن الثّالث، وأبو إسحاق الاسفراييني الّذي يقول: أنّ ابتداء اللُّغة من الله والتتمّة من النّاس [1]، وأبو الرّاغب الأصفهاني، والجاحظ المعتزلي، ممن ذهبوا إلى القول بثنائية اللُّغة [2]، وقد انبثق عن هذه المسألة قضية أخرى تتعلّق بالعلاقة بين اللّفظ والمعنى أو بالأحرى بين الدّال والمدلول ضمن مسألة الطّبيعة الاصطلاحية.

تتحدّد طبيعة العلاقة بين اللّفظ والمعنى عند العرب من خلال ثنائية الموقف القصدي والموقف العلمي، وذلك من خلال معرفة ما إذا كانت هذه العلاقة طبيعية، أي هل يحمل كل صوت جرس دلالته لينشأ ذلك التّناسب بين الأصوات والدّلالات؟ أم هي صلة تواضعية طبيعية أوجدها الإنسان باختياره، وغير حاملة لأية صفة تلازمية أو علاقة طبيعية بين الدّال والمدلول؟ [3]، وهو الموقف الّذي يدعم فكرة الاعتباطية ويؤسّس لها، والّذي تناوله عدد غير قليل من علماء التُّراث العربي الإسلامي عند تعرُّضهم للدّلالة الاصطلاحية أو العرفية.

8- اعتباطية العلامة اللُّغوية عند اللُّغويين العرب القدامى:

1- عند ابن سينا: لقد استقرّ لدى ابن سينا مفهوم عرفية اللُّغة واجتماعيتها، حيث يقول: " فالدّلالة بالألفاظ إنّما هي بحسب المشاركة اصطلاحية" [4]. فلا شيء ضروري أو طبيعي يجعل النّاس يضعون هذا اللّفظ لهذا المعنى، إنّما اتّبع ثانيهم اصطلاح أوّلهم عليه، إنّ العلامة اللُّغوية عند ابن سينا عرفية اعتباطية فالأشياء في العالم متماثلة وكذلك انطباعات صورها في التصوُّر الإنساني وفي الذّهن، أمّا في الألفاظ والكتابة فهي مختلفة، إذ يقول: " أمّا دلالة ما في النّفس على الأمور فدلالة طبيعية لا يختلف لا الدّال ولا المدلول عليه كما في الدّلالة الّتي بين اللّفظ والأثر النّفساني، فإنّ المدلول عليه، وإن كان غير

[1]- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم العربية، ج : 01، ص: 16/ عن: عبد القادر عبد الجليل، اللُّغة بين ثنائية التّوقيف والمواضعة، ص: 55.

[2]- ينظر : المرجع نفسه، ص: 55.

[3]- ينظر : المرجع نفسه، ص: 65.

[4]- ابن سينا، العبارة، ص : 02/ عن: الطيب دبة، مبادئ اللّسانيات البنوية، ص: 79.

مختلف، فإنَّ الدَّال مختلف، ولا كما في الدَّلالة الَّتي بين اللَّفظ والكتابة فإنَّ الدَّال والمدلول عليه جميعاً قد يختلفان" [1].

2- عند ابن جني: تنشأ اللُّغة عنده من خلال ضرورة الاتِّصال بين النّاس، وتتمُّ المواضعة على أيدي جماعة ممَّن يتمتَّعون بقدر واف من الحكمة، والمواضعة تعني العلاقة الاعتباطية، فهو يقول: " ألا ترى أنَّهم (أي العرب) لو استعملوا لجع مكان نجع لقام مقامه، وأغنى مغناه " [2].

3- عند أبي حيَّان التَّوحيدي: أمَّا عن رؤية التوحيدي لطبيعة العلاقة بين اللَّفظ والمعنى؛ فنجده لا يجزم القول بمبدأ الاعتباطية **Arbitraire** ولا بالعلِّية **Motivation**، بل يرجع ذلك تحت تأثير المنزع التَّداولي الَّذي غالباً ما تخضع له طريقة بحثه في اللُّغة- إلى ظروف الاستعمال الوضعي الأوَّل للألفاظ، هذه الظُّروف الَّتي إمَّا أن ينشأ اللَّفظ فيها على أساس من العلِّية وإمَّا على أساس من الاعتباطية، فهو يرى أنَّ اللَّفظ إن خلا من العلَّة جرى مجرى الاصطلاح، على غير غرض مقصود [3].

لقد وردت فكرة الاعتباطية والاعتباطية النِّسبية [4]، لدى كثير من علماء التُّراث العربي الإسلامي، غير أنَّهم يتصوَّرونها، في دراستهم للِّسان العربي، بشكل مختلف ومتميّز؛ فهم لا يرون الاعتباطية في الكلمات العربية إلاَّ حينما يعجزون عن تعليلها، ولذلك لم يتوقفوا عن تتبُّع مختلف ظواهر التَّعليل **motivation**، في اللِّسان العربي تلك الَّتي تهيمن على وحداته بشكل ظاهر ومتميّز، ومن المظاهر الدَّالة على ذلك نجد: الاشتقاق بكلِّ أنواعه، والتَّرادف، وأثر الكمِّية الصَّوتية، وبعض الأبنية الصَّرفية،

---

[1]- أبو حيان التوحيدي ومسكاويه، الهوامل والشوامل، نشر أحمد أمين وسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنَّشر، القاهرة، ص ص: 266، 267.

[2]- ابن جني، الخصائص، ج : 01، ص: 65.

[3]- أبو حيَّان التَّوحيدي ومسكاويه، الهوامل والشوامل، ص ص: 266، 267/ ينظر: الطيب دبة، التَّفكير السيميائي في اللُّغة والأدب- دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، ص: 40.

[4]- يقول دوسوسير أنَّ مبدأ الاعتباطية لا يمنع من تمييز ما هو اعتباطي جذرياً، أي غير معلل، عمَّا هو اعتباطي نسبياً، مثل كلمة vingtأي عشرون، فهي غير معلَّلة، بينما لا تنافي العلِّية كلمة أخرى مثل dix- neuf بنفس الدَّرجة، وذلك لأنَّها توحي بالألفاظ الَّتي تتألَّف منها: ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللِّسانيات البنوية، ص ص: 82، 83.

والمناسبة الطَّبيعية بين الدَّال والمدلول، والقيم التَّعبيرية للحروف، وغيرها من الظواهر الَّتي ترجع إلى خصوصية في اللِّسان العربي تتمثَّل في كون العلاقة بين ألفاظه ومعانيه قابلة للتعليل، وحتى الألفاظ الَّتي لم يستطع العلماء إثبات التَّعليل فيها، وهي تمثِّل في الغالب الأصول الوضعية للوحدات المعجمية، فإنَّهم لا يقضون باعتباطيتها إلاَّ حينما يعجزون عن إدراك عللها [1].

قائمة المصادر و المراجع

1- أحمد حساني، مباحث في اللِّسانيات، مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر، 1999م.

2- جورج مونان، علم اللُّغة في القرن العشرين، نص عن فرديناند دوسوسير، تر: نجيب غزاوي، مطابع مؤسَّسة الوحدة، الجمهورية العربية السورية، 1982.

3- جوناثان كلر، فرديناند دي سوسير (أصول اللِّسانيات الحديثة وعلم العلامات)، تر: عزّ الدِّين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط: 01، القاهرة، 2000م.

4- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح: محمَّد علي النَّجار، دار الكتب المصرية، ج: 04.

5- ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللُّغة (في الغرب)، تر: أحمد عوض، ط: 03، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب- الكويت، نوفمبر، 1997.

6- رولان بارت، مبادئ في علم الأدلَّة، تر وتق: محمَّد البكري، دار قرطبة للطِّباعة والنَّشر، الدَّار البيضاء، 1986.

7- سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، " أمينة الرشيد: مقال السيميوطيقا في الوعي المعرفي المعاصر"، ج: 01.

8- الطيِّب دبَّة، مبادئ اللِّسانيات البنوية- دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، دار القصبة للنَّشر، ط: 01، الجزائر، 2001.

9- الطيِّب دبَّة، التَّفكير السِّيمائي في اللُّغة والأدب- دراسة في تراث أبي حيَّان التَّوحيدي، ط: 01، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2015.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 83 (الهامش).

10- عادل فاخوري، علم الدَّلالة عند العرب- دراسة مقارنة مع السِّيمياء الحديثة، دار الطَّليعة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط:01، بيروت، 1985.

11- عبد السَّلام المسدِّي، اللِّسانيات المعرفية، الدَّار التُّونسية للنَّشر، 1986.

12- عبد القادر عبد الجليل، اللُّغة بين ثنائية التَّوقيف والمواضعة، ط: 01، دار الصَّفاء- سلسلة الدِّراسات اللُّغوية، عمَّان- الأردن، 1417هـ/ 1997م.

13- عبده الرَّجحي، فقه اللُّغة في الكتب العربية، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت- لبنان، 1972.

14- نايف خرما، أضواء على الدِّراسات اللُّغوية المعاصرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1398هـ/ 1978م.

المحاضرات:

15- الطيِّب دبّة، " اللِّسان البشري والأنظمة السِّيميائية الأخرى" محاضرة مقدَّمة لتدريس طلبة اللُّغة والأدب العربي، قسم اللُّغة والأدب العربي، كلِّية الآداب واللُّغات، جامعة عمَّار ثليجي بالأغواط.

المراجع الأجنبية:

16- Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Edition établie par Tullio De Mauro, préface de Louis- Jean Calvet, Editions TALANTIKIT, Béjaia,2014.

17- Jeanne Martinet, Clefs pour la Sémiologie, Editions Seghers, 1973.

18- Oswald Ducrot, Tzue Tandorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Editions du seuil, 1972, première publication.

19- Roger G. Van De Velde, Introduction à la méthodologie stucturale de la linguistique, Editions Labor, Paris.

20- Véronique Schott- Bouret, Approche de la linguistique, Editions Armand Colin, 2005.